

تأثير العربية في سنغال

الأستاذ مالك انجاي «سنغال»

«... ما ترددنا عن فتح مدرسة عربية في كل من جنه وتمبكتو وسان لوي حيث يجد طالب العلوم الدينية تعليما فرنسيا رفيعا مع دروس النحو والفقه... والفكرة الدائمة لانشاء المدارس العربية الفرنسية هي ان تصير محل تلاق وتوافق بين العقلية القرآنية وروح العصر.» (1)

وهذا اقرار واعتراف بأنه وجدت وقتلها عقلية قرآنية تستحق ان تنكيف السياسة لجاراتها والسلوك معها مسلكا خاصا ، ومعنى وجود عقلية قرآنية كهذه هو وجود ثقافة عربية دينية راسخة يعتبرها الاحتلال الجديد منافسا لا يمكن الاغضاء عنه واخذ التدابير الحيلية للانتصار عليه .

ورغم افراءات الحكومة وضغطها على الناس لارسال ابنائهم الى المدارس الفرنسية فلم تستطع ان تحمل الناس على الامراض من الكتابيب ، ويشهد التقرير الرسمي لعام 1912 على ان 633 تلميذا فقط هم الذين كانوا يتابعون ، مع استمرارهم على دروسهم القرآنية في الكتابيب ، دروس المدارس الفرنسية ، وهذا من بين 11.451 تلميذا الموزعين في كتابيب سنغال البالغ عددها في العام المذكور 1385 كتبا .

احتلت فرنسا سنغال والعربية هي اللغة الحية الوحيدة المستعملة فيه ، ووسيلة التفاهم بين الملوك في مناطقه المختلفة اللغات . كان الملوك يستعملون المستعربين للكتابة والترجمة ، واتخذوا منهم القضاة والمستشارين في الشؤون الدينية ، فكانت العربية لغة تدوين الوثائق من معاهدات وعقود ورسائل ، واتخذت فرنسا نفسها العربية واستعملتها في التفاهم في الاعلانات والمناشير التي تهم الخاص والعام من الاهالي . وكان الملوك والمشايخ يرسلون السلطات الفرنسية بالعربية . وفي كتاب «دراسات اسلامية عن سنغال» يقول الافريقياني الفرنسي «بول مارتي» ان جميع المشايخ كانوا يرسلون السلطات الادارية بالعربية ما عدا الشيخ «بوكنت» زعيم الفرقة القادرية الكنتية ، وصكت النقود حاملة الكتابة العربية مع الكتابة الفرنسية ، وصدرت الجريدة الرسمية الاولى للحكومة الفرنسية في سنغال مكتوبة فيها الاخبار المهمة للاهالي بالعربية والفرنسية . وفتحت في سان لوي عاصمة سنغال الاولى مدرسة فرنسية عربية لافراء الناس على تعلم الفرنسية مع العربية . قال الافريقياني الفرنسي «روبير ارنو» Robert Arnaud في كتابه (الاسلام وسياسة فرنسا الاسلامية في غرب افريقيا) :

(1)

وفي مجموعة الجريدة الرسمية لعامي 1878 - 1879 م الموجودة في مكتبة الاتحاد الثقافي الاسلامي، والتي نقلنا منها النصوص الآتية في آخر هذا الفصل ، توجد الاخبار الهامة لدى الاهالي مكتوبة بالعربية والفرنسية. والورق المصكوك في دكار بتاريخ 13 اكتوبر 1924 تحمل الكتابة العربية في احدى جهتيها مع الفرنسية في الجهة المقابلة .

دور الطرق الصوفية في التعريب :

ومن اهم الدوافع للتعريب في هذا القرن والقرون السابقة من غير شك الطرق الصوفية واهمها في سنغال ثلاث : القادرية والتجانية والمريدية او القادرية المريدية بتعبير ادق . ويظهر تأثير هذه الطرق في مجالين هامين هما مجال اعلام الاناس والاماكن والمنظمات والعوائد ومجال التعليم ، والمجال الثاني تتكفل ببيانه الفصول المعقودة للمدارس العربية الكبرى في سنغال كمدرسة التجانية في تراوون ومدرسة المريدية في جربل

اما المجال الاول فان تعلق القوم بالشخصيات الصوفية البارزة في هذه الطرق مثل الشيخ سمد ابيه والحاج مالك والشيخ الخديم احمد بمب كان سببا للتبرك بهم والتقرب اليهم بتسمية الابناء باسمائهم واسماء من تفرغ منهم . ولكن هؤلاء متعلقين بدورهم بالوجهاء المشهورين في التاريخ الاسلامي من النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والتابعين وكبار المتصوفة فانهم لا يترددون في اطلاق اسماء هؤلاء على ابنائهم وعلى ابناء من يخيرهم اسماء لواليدهم من المريدين وعلى من اهدوا الى الاسلام بواسطتهم بدلا من اسمائهم العائلية ، فمن هنا تنسخ الابوة الروحية محل الابوة النسبية برضى ووافق بين الطرفين . فما يلبث الولفي المهتدى الى الاسلام باسم « جبل » ان يتسمى باسم «محمد الامين» والسرايري المهتدى باسم « لئسر » ان يحمل اسم « ابراهيم » والفلاقي المهتدى باسم « جول » ان يحمل اسم «علي» وهكذا . ولو اراد الانسان ان يكتب عناوين الدين سموا الحاج مالك والخليفة ابا بكر سه والحاج منصور سه من الطائفة التجانية التواونية او عناوين الذين سموا احمد بمب ومصطفى البكي وبشير البكي من الطائفة القادرية المريدية للزمنه للقيام بهذا

المعمل اضبارة من الاوراق . هذا ولم يمض على ميلاد اكبر هؤلاء سنا الا 115 سنة . فاذا عرفنا ان هذا التعريب يستمر بنفس الحماسة في القادرية واللاهية . ادركنا اي سرعة يسير هذا التعريب الجماهيري في اعلام الاشخاص ويتقدم نحو الشمول.

لا يسعنا وقد تكلمنا في دور الطرق الصوفية عموما في تعريب اعلام الاشخاص الا ان نتكلم من دور المريدية والتجانية التواونية كل منهما في فرع خاص من فروع المجال الاول من التعريب يرت فيها غيرها من ضرائها . لقد فاقت المريدية في تعريب اسماء البقاع وسبقت التجانية التواونية في تعريب اسماء المنظمات الداخلية المسماة بـ « الدوائر » الموجودة في جميع الطرق السنغالية والتي ابتدعها مجازاة للمريدية في دساكرها الفلاحية .

ففي اقاليم بول وجلف وجنوب كجور يتجلى دور المريدية في تعريب البقاع حيث قام الشيوخ المريدون بحماسة فائقة بتأسيس الدساكر والقرى والمدن حتى طبعوا المناطق المذكورة بطابع متميز من طابع غيرها من المناطق السنغالية من حيث تعريب كثير من اعلام قراها ودساكرها . فنشروا على ارضها هذه الاسماء اللطيفة في السمع مثل : طوبى - دار السلام - دار المسطي - دار الفسفور - دار المنن - دار المنان - دار النسيم - دار العليم - دار الرحمن دار الرحمة - دار القدوس - الشام - مدينة - طالف - عالية - طوبى فال - طوبى كن ، وسموا سوق طوبى مهد المريدية هناك .

ونشاط المريدية في تعريب اعلام الامكنة يسهاه نشاط التجانية في تعريب اعلام المنظمات الداخلية « الدوائر » . ومنذ نشأة هذه الجماعات اختارت القيادة التجانية التواونية تعريب اسمائها فاطلقت على اول جماعة تكونت منها اسم « دائرة الكرام » ثم تباينت الحلقات في هذه السلسلة : دائرة المهتدين - دائرة المنة - دائرة المقتفين - دائرة المتقين - دائرة الوفاء - دائرة المهاجرين والانصار - دائرة المقتدين - دائرة المحسنين - دائرة الابرار - دائرة الخليفة الاكبر - دائرة الخير والبر - دائرة المومنين . الى غير ذلك من الاسماء الرنانة التي اطلقت على مئات الجماعات .

المذكور مكملة بمشربين اسما من الوزراء وكبار المسؤولين في الحكومة . والمجموعة الثالثة مؤلفة من عشرة قوائم مائوية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم 2 - 8 - 1968 . وهي أكبر المجموعات الاربع واصدقها تمثيلا للواقع لانها تمثل قائمة اسما الناجحين في امتحانات الدخول في السنة السادسة من التعليم الثانوي واصحاب اسما هذه القائمة متقاربون في السن لا يجاوز اكبرهم سنا ثلاث عشرة سنة ولا يقل عمر اصغرهم عن احدى عشرة سنة . ويزيد في قيمة هذه المجموعة تمثيلها لجميع اقاليم السنغال السبعة لان الامتحان المذكور يجري في جميع انحاء سنغال وتظهر نتائجه جملة مترتبة الاسماء فيها بترتيب أبجدي ومن هنا انتفت الاقليمية عن نتائج المجموعة .

تأثير العربية في اللغات المحلية

اثرت العربية في لغات سنغال المحلية ولاسيما الولفية والفلاية فقد استعملت كل من الجماعتين الحروف العربية في الكتابة بلفتها ، وذلك منذ زمان قديم مجهول يرسلون ويدونون بها خواطرمهم ، اما الولفية فيوجد بينها وبين العربية شبه كبير من خصائص البناء ليس هذا الكتاب مجالا للتفصيل فيها مثل كون اكثر الانعام الماضية مركبة من ثلاثة حروف ، وتقديم ملامة الفارع على اصل الفعل والتلفظ بلامة الجمع . وتأخير الضمائر المتصلة بالماضي عنه الى غير ذلك .

ونظم الشعراء المستعربون الولى والتكفور القصائد ملتزمين فيها قوانين العروض العربية من التفعيلات والقوافي والبحور واستحدث الشعراء المستعربون الولى فنا شعريا سموه البديع وهو قصائد منها «المصدور» يتألف البيت منها من صدر ولفي وعجز عربي . ومنها المعجوز صدره عربي وعجزه ولفي . ومنها المحشو يحشي القسم الولى بين جزئين عربيين ومنها غير ذلك . وسنلحق بهذا البحث نماذج من هذا الفن لبعض الشعراء الولىين .

طبق المستعربون الفلايون والولىيون قواعد العروض ونظموا قصائد ذات افراض مختلفة كالقصة والوفظ والمدح والهجاء والثناء . ولا ينافي ذلك ان يستنكف الكثيرون من كبار المستعربين عن نظم الشعر

وهذا التعريب الذي يتولى كبره قادة الطرق الصوفية في الاسماء التي يختارونها للقرى والاشخاص والجماعات ادخل في الشعب حماسة مماثلة لعرب الكثيرين منهم اسما القرى التي اسسوها ويتجلى هذا في الاحياء الشعبية في المدن السنغالية الاساسية حيث اتخذت للكثيرة منها اسما مثل : فاس - نساط - طوبى - مدينة - دار السلام - مزدلفة الخ ..

خذ خريطة مفصلة للقرى والمدن السنغالية واجل بصرك في اقاليمها المختلفة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب او تناول سجل العمال لاحدى المؤسسات الصناعية او سجل الاهضاء المنخرطين في احدى الجمعيات ، او اسما الجنود في احدى الشكات العسكرية او اسما التلاميذ في احدى المدارس فسيكون اول ما يلفت انتباهك ذلك العدد الكثير من اسما القرى والساكر والاشخاص العربية .

تمت انا شخصيا لاختبار سرمة التعريب في اسما الاشخاص فاعجبني السرعة التي يتم ويسير بها هذا التعريب ، فبينما كانت النسبة المئوية تتردد بين 44 ٪ و 48 ٪ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن اعتمادا على القائمين المؤيدين العديدين عن قوائم اسما كثيرة من الجريدة الرسمية لعامي 1878م و 1879م اوتفع خلال الستين سنة الماضية الى 69 ٪ و 77 ٪ في عام 1966م

اما الطريقة التي سلكتها في هذا التحقيق فهي اننا اعددنا ست عشرة قائمة تتألف كل قائمة من مائة اسم . وقد مر في السطور السابقة نتيجة القائمتين الاوليين . وبتنا في الجدول الملحق بهذا الفصل ثلاث مجموعات من القوائم تتألف المجموعة الاولى منها من ثلاثة قوائم مصدرها جريدة « دكار متان » اليومية « Dakar Matin » في عدديها الصادرين يومي الجمعة 22 - 7 - 1960 ويوم السبت 23 - 7 - 1960 . وهي قوائم اسما النواب المرشحين للانتخاب لحرزبين المتنافسين في الحكم في السنة المذكورة . والمجموعة الثانية مصدرها الجريدة المذكورة في عددها الصادر يوم الخميس 18 - 1 - 1968 وهي قائمة اسما النواب المرشحين للانتخابات التشريعية للعام

بالاعجمية ، ولعل ذلك ناتج عما يسود هذا المجال من اللغو المناني للورع والمقاصد الصوفية .

يجد الباحث في العلاقات بين الالفية والعربية ظاهرتين لا محيص من ملاحظتهما والاقترار بهما والاعتراف بهما وهما ظاهرة تأثير العربية في الالفية من حيث الحفظ وابقاء الكثير من مفرداتها وظاهرة تأثيرها فيها باندساس الكثير من مفرداتها اليها .

ففي الظاهرة الاولى نلاحظ ان الكثير من المفردات الالفية المهجورة في المخاطبات ومن ذواكر الاغلبية العظمى من الشعب - غير المستعربين - بقيت محفوظة في صدور المستعربين من الفقهاء واللغويين الالف ، وذلك بفضل المنهج الذي كانوا يسلكونه في الدرس بتفسير كل كلمة عربية على افراد بالكلمة الالفية المرادفة لها . وبمرور قرون عدة على تدريس كتب الفقه والاصول والحديث والالفية مثل مختصر خليل في الفقه والورقات ومقامات الحريري ودواوين الشعر الجاهلي وغيرها . ولا شك انه انما تطور لغة الحديث بقيت الالفية الشبيهة بالكتوبة متحجرة يتناقها المستعربون كابراً من كابر وحفظت الكثير من المفردات المدرسة من الدواكر . وفي العصر الحاضر لا يمكن لاحد تأليف معجم ولفي كامل لسوي دونما اعتماد واستعانة بهؤلاء المممين المدرسين في الحلقات المحظوظين بالدراسة على المنهج القديم المستحفظين في ذواكرهم جميع الكلمات الالفية المرادفة لما في مقامات الحريري ومختصر خليل وغيرهما من كتب الفقه والادب . وكفى للاستنابات من هذا الراي ان يستمع اكبر خبراء الالفية غير المستعربين الى عدة دروس لدى احد المممين .

اما الجهة الثانية من تأثير العربية في الالفية وهي اندساس كثير من مفردات العربية الى الالفية

نتجلى في تسرب الكلمات العربية العديدة الى الالفية خلال الاحتكاك الطويل بين اللغتين . والكلمات التي اتحمت على الالفية عربيا ما اتيح لها ذلك النصر الا بالصبر على الجروح الفائرة التي اصابتها انشاء المعركة وهي متمثلة في التحريف المبني والمعنوي اصابتها من اللحن والتحريف ما يصيب كلمات كل لغة عندما تفزو غيرها وتتسرب اليها .

والحق ان التحريف المبني للكلمات العربية المولفة اكثر شيوعا من التحريف المعنوي وهذا لا يعني ان كلمة من اطهر الكلمات العربية « صادقين » جمع صادق اقبلت ان تفتح دالها وان تكون لها معنى « فاسق » جزاء لدخولها الالفية .

يجرنا الكلام على تأثير العربية في الالفية الى ذكر ما يتعرض الكلمة العربية من التحريف حينما تدخل في الالفية والى شرح ابرز قواعد التحريف . ان الكلمة العربية قد تفقد بعض حروفها بالحذف ويتشوه البعض الآخر بالتحريف .

العربية بتضمنها اثني عشرة حرفا غير موجودة بالالفية ، اصلا، تعرض لتحريف لا محيد منه، وهذا زيادة على ضروب التعبير التي تترك اثرها في الكلمة العربية . وهذه الحروف هي : ث ح ذ ز ش ص ض ط ظ ع غ هـ . اما اشهر دواعي التحريف المبني فهو :

1 - الترخيم : هو ضرب من التحريف ياتي به الالف لظهور التحنن على المعبر منه وهو مستعمل في العربية ايضا ولكن بصورة تختلف عن الصور الالفية في الترخيم ، وقد يكون بحذف اول الكلمة او حذف آخرها ، وهكذا يقولون في :

زئب	نب	سي	جارية	جار	فاطمة	فات
خديجة	جة	خد	محمود	مود	رقية	رق
نقية	نف	»	مبد	اب	حليمة	المه
صفية	سف	»	ابراهيم	اب، ابر	آدم	آد
فرمة	فر	»	هرون	ار	رحمة	رم

4 - يلقبون الشاء ، والذال والزي والشين والصاد والفاء سيناً لأنها غير موجودة في لغتهم : زينب (سينب) صالح (سالو) .

5 - يلقبون الصاد لاما والطاء تاء .

قال الدكتور عبد الواحد وافي في كتابه « علم اللغة » ص 231 ط : 4 : « والمفردات التي تقتبسها لغة ما من غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص أهل هذه اللغات أو بزوا أو امتازوا بانساجها أو اكثروا استخدامها » وفيما يلي قائمة من الكلمات العربية المولفة التي يبين تأثير العربية في الولىة خصوصا من الناحية الدينية .

ولعلنا لاحظنا ان العلم « زينب » اصبح شبه مجهول الاصل بعد حذف الحرفية الاخيرين وتبديل الزاي في اوله سيناً فلم يبق فيه من اصله العربي الا الياء ومثل هذا يقال في « هرون » وغيره .

2 - ويتحرف العلم بزيادة حرف مد في آخره عند النداء وعدم مراعاة قاعدة الوقف العربية : مود (محمود) مودو ! . سال (صالح) سالو ! . آد (آدم) آدا ..

3 - تغلب العين والهاء والحاء همزة في اول الكلمة وتحذف غالبا في وسط الكلمة : حبيب (ابيب) حليلة (الة) عبد الله (ابلاي) هادي (آد) هائشة (ابسة) هرون (آرون) محمد (مد) معاذ (ماس) مهدي (مدي) .

الكلمات العربية المولفة :	الزواية (مكان تجمع الصوفية للذكر)
اجل (نسم)	حساء
آدم	الخاتم
ابيس	الخبر
الانين	الخطبة
الاحد	الخليفة
الآخرة	الخميس
الاربعماء	الدائرة
اسرائيل	الدابة
الاول (الكاس الاولى من الشاي خاصة)	الدار
البيت (الجزء من القصيدة)	الدبران
البدعة	دجنبر
البرادة	الدرامة
البرزخ (مقر الارواح بعد الموت وقبل البعث)	الدرجة
البركة	الدرهم
البطاقة	الدينيا
البلاء	الدواة
البيمة	الديبة
التخمة	الدين
التربية (بالمعنى الصوفي)	الذكر
الترجمان	ذو الوجهين
التبيح	الراية
التفسير	الربا
التهمة	الركمة
	الركوع
	الروح
	الروضة
	الزواية
	الزيارة
	الزكاة
	السامة
	السبب
	السبب
	سبوح
	الشر
	السجادة
	السجود
	السر
	السطر
	السطل
	السكر
	السلام
	السلام عليكم
	السماء
	السنة
	السورة
	الشرح
	الشرط
	الشريف
	الشفل
	الشيطان
	الصابون
	الصبح
	الصدقة

ما قالت اذ كنت املودا كلمتها
 بهيم ليل سوادا فعادة نممه
 لكن للشيب في فودي وجمجمتي
 وخطا وخطا فعذراء النسا نيمه

— * —

الا ارمواء لمن ولت شبيته
 واذنت بمشيب معلم هرمه
 بل كل ضيف كريم القوم حوله
 قرى عليه وهذا شيبه كتمه
 فاقره - ان ترى ما عشت شادي من
 هو الشفيح وكل قائل تلجه
 من ذاته كل ذات لازمت هرفسا
 في عشر شعرتها لو تفتدى سقمه
 من كل جرم له قدر يعمره
 عند الفراغ فداه والفداد يمه
 من دونه كل منطوق بحرف هجا
 في الاسم الا الهاجيره سكمه

من تحتته كل موجود له جهة
 من أي ست وربى أنني نرمة
 محمد سيد السادات لا احد
 منهم مدائيه او قائل كتمه
 صلى عليه اله المرش ما رجيت
 شفاعة منه او قول له ولمه
 يا من شفاعة يرجسو وياملها
 اهل الكباير امثالي فدا نممه
 فان جاهك عند الله منجمل
 هو العظيم فسي الاحوال فتكمه
 احوال دنياي او احوال آخري
 او برزخ ثم من ذكراك ديلتمه
 لا زلت انيبك واسمع ما اردده
 يا خير من يرجيه مريج ويمه
 وقال الشيخ ماجورسيه متحديا للقاضي
 مجنحت كل ومنوها بشأن الشيخ احمد بيب :

الصراط	القلم	ما.رضيت عليه	الناقاة
الضر	التغطسان	مارس	النصراني
الضميف	القوال	المحراب	النفس
الطالب	القياس	المداراة	الهدية
الطبل	القيمة	المربط	الهلاك
الطريقة	لقمة	المسبح	الورقة
الطيرة	الكافد	المسبح الدجال	الوقت
مزرائيل	الكافور	المسك	الوكيل
المادة	الكاس	المكين	الوظيفة
المورة	الكامل	المصاحة	الورد
المعيب	الكمال	المصيبة	الوفاة
النفوس	الكرامة	المعنى	الولي
الفتنة	كش !	المقامة	يرحمك الله
الفجر	الكفر	المكان	يهديك الله
القاضي	الكلام	الملحفة	يوم القيامة
القبر	الكوب	الملاك	الزمن
القبة	لا بد	المهدي	المرش
ندوس	الله	النبر	اليهود
القعيدة	الروح	الميراث	القعبة
القطب	الماموم	ميكايل	الشر
القرنفل	الشمال	المنافق	الفوقية
		لنافلة	الآية

لم انهمت بعد شيب هبرة وبمه
 اراقها كلمتا سمدي بيه وبمه ؟
 اذ كلمتني بتبين الكلمتين بلا
 هول ومزج بدا لي انها بيمه
 وان جبل وصال صار منصرما
 او واهنا خلقا تجديده نممه
 مالي اراي ان لامت هانية
 عصر الشباب تقبل او تقل بيمه
 واليوم ان لامت خودا يدي لمبا
 تاففت ثم نادت : « يا ابي سرمه ا »
 وكل ناهدة الشديين تلحظني
 بيمين سخط فتعلي صوتها فومه
 وان لهوت تلمت او دنوت نات
 وان اسل فجواب مندها خممه
 كل كامب واعدتني زورة مشقا
 زمان شرخي ولما جنتها نغمه

نفى وحوش الفلا عن أرضه « بجندو
جنتى ج سو نم س » لاسيدا ولا ضما

— * —

لكن هنالك شبل رابض « بجكى
ج خمن » أن سي جيد الصيد والنقما

لولا حياء وتقوى ربه « اكنم
د دول يم » شب بسرا عالما ورعا

وحرمة الشيخ « اكنم مولك مك ث بدون
ك ملن من » رد ماء حيشما نبعما

أبدى الكجوري فنا فى البديع « كمن
ندف » بديعما كما أبدى وما بدمما

أن الحقيقة بحر غاص فيه « تفسر
درمو » عند التقاط الفانس الودما

أجاد مدح النبي الهاشمي « توح
سخلا ميمم » وأجاد المدح والقدمما

فالبيت ليث عريض الساعدين « كجس
جغم » تيقن أن قد طال ما صرعا

